تقدم ذى المنصب والبيت وقوة نائبه صلاح الأمر، او فعل ذلك لهوى ورغبة فى الرئاسة
ولطائفته دون من هو احق بذلك منه وسلك مسالك المتغلبين بالعدوان. فمن المعلوم
ان المؤمن بالله ورسوله لا يستجيز أن يقول فى الرسالة انها عاجزة عن تحقيق العلم وبيانه حتى
يكون الأقوال يهما تحقيق العلم الا لهى من غيرها موجبا لصلاح الدين، ولا يستجيز ان يتعدى
عليها بالتقدم بين يدى الله ورسوله وتقديم عليه وتوله على علم الرسول وقوله، ولا يستجيز أن
يسلط عليها التأويلات العقلية ويدعى أن ذلك من كمال الدين، وان الدين لا يكون كاملا
الا بذلك. واحسن احواله أن يدعى ان الرسول [كان] عالما بأن ما اخبر به أن له
تأويلات وتبيانا غير ما يدل عليه ظاهر قوله ومفهومه وأنه ما ترك ذلك الا لعجزه [انه] ما بينه للناس تلقا
البيان بين تلك الأعراب ونحوهم وانه وكل ذلك الى عقول المتأخرين وانما يفعل [ذلك] من فى
قلبه مرض ونفاق. وهذا هو الواقع فان المتفلسفة تقول: ان الرسول لم يتمكن من بيان
الحقائق لأن اظهارها يفسد الناس ولا تحتمل ذلك عقولهم ثم قد يقولون انهم عرفوها،
وقد يقول بعضهم لم يعرفوها، وانا اعرف بها منهم ثم يبينونها هم بالطرق القياسية
الموجودة عندهم ولم يعقلوا انه ان كان العلم بها ممكنا فهو ممكن لهم كما يدعون انه ممكن
لهم والا فلا سبيل لهم الى معرفتها باقوالهم. وكذلك التعبير وبيان العلم بالخطاب والكتاب
ان لم يكن ممكنا فلا يمكنكم ذلك وأنتم تتكلمون وتكتبون عليكم فى الكتب وان كان ذلك ممكنا
فلا يصح قولكم لم يمكن الرسول ذلك، وان قلتم يمكن المخاطب بهما خاصة الناس دون
عامتهم — وهذا قولهم — فمن المعلوم أن علم الرسول يكون عند خاصتهم كما يكون علمكم عند
خاصتكم ومن المعلوم ان كل من كان يتكلم المتبوع وأحواله وبواطن أموره وظواهرها
أعلم، وهو بذلك أقوم كان احق بالاختصاص به ولا ريب ان اهل الحديث أعلم الأمة
واخصها بعلم الرسول وعلم خاصته مثل الخلفاء الراشدين وسائر العشرة ومثل أبى بن كعب
وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسى وأبى الدرداء
وعبادة بن الصامت وأبى ذر الغفارى وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، ومثل سعد

ابن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وعباد بن بشر وسالم مولى ابى حذيفة
وغير هؤلاء ممن كان أخص الناس بالرسول واعلمهم بباطن أموره واتبعهم لذلك.
فعلماء الحديث اعلم الناس بهؤلاء وببواطن أمورهم وأتبعهم لذلك فيكون عندهم
العلم علم خاصة الرسول وبطانته، كما أن خواص الفلاسفة يعلمون علم أئمتهم، وخواص
المتكلمين يعلمون علم أئمتهم، وخواص القرامطة والباطنية يعلمون علم أئمتهم
وكذلك أئمة الاسلام مثل أئمة العلماء فان خاصة كل امام أعلم بباطن امره مثل مالك
ابن انس فان ابن القاسم لما كان اخص الناس به واعلمهم بباطن أمره اعتمد أتباعه على
روايته حتى انه عنه تؤخذ مسائل السر التى رواها ابن الغرس وان طعن بعض الناس
فيها وكذلك ابو حنيفة [وان] ابو يوسف ومحمد وزفر أعلم الناس به، وكذلك غيرهما
وقد يكتب العالم كتابا أو يقول قولا فيكون بعض من لم يشافهه به اعلم بمقصوده من بعض
من شافهه به كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «رب مبلغ أوعى من سامع» لكن بكل حال
لا بد ان يكون المبلغ من الخاصة العالمين بحال المبلغ عنه كما يكون فى أتباع الأئمة من
هو أفهم لنصوصهم من بعض اصحابهم. ومن المستقر فى أذهان المسلمين أن ورثة
الرسول وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علما وعملا ودعوة الى الله والرسول
فهؤلاء أتباع الرسول حقا وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التى زكت فقبلت
الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير فزكت فى نفسها وزكى الناس بها وهؤلاء هم
الذين جمعوا بين البصيرة فى الدين والقوة على الدعوة ولذلك كانوا ورثة الأنبياء
الذين قال الله تعالى فيهم (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الأيدى
والأبصار) فالأيدى القوة فى أمر الله والأبصار البصائر فى دين الله فبالبصائر
يدرك الحق ويعرف وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة اليه. فهذه
الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه فى الدين والبصيرة التامة وبهما فجرت
من النصوص أنهار العلوم واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهما خاصا

Copyright © King Saud University